بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تؤكد الشواهد حقيقة أن جامعاتنا العربية في حيرة بين البحث عن مكانة عالمية والحفاظ على الخصوصية الثقافية؛ فهي تبحث كغيرها من الجامعات عن الطريق إلى جامعة من الطراز العالمي Towards a World-class University. ومن هذا المنطلق يهدف هذا العمل إلى تشخيص الحالة الراهنة لتأخر معظم الجامعات العربية عن المراكز المتقدمة في التصانيف العالمية، من خلال فحص عديد من الأبعاد المؤثرة بشكل مباشر أو غير مباشر، وتشتمل على سبيل المثال لا الحصر: المعايير المستخدمة في تلك التصانيف، وقياسات البحث العلمي العالمية، وأهمية الوجود العالمي على الشبكة العنكبوتية والثراء المعلوماتي لمواقع الجامعات...وغيرها. هذا فضلاً عن الضغط الإعلامي المتمثل في تكرار سؤال واحد فقط، وهو: **لماذا تخلفت جامعاتنا عن هذه المراكز المتقدمة في التصانيف العالمية؟** ويتعرض المؤلف للوضع الراهن لجامعاتنا العربية في التصانيف العالمية، كما يلقي الضوء على خطط واستراتيجيات جامعة القاهرة في هذا الشأن.

ففي الآونة الأخيرة، وفي نهاية كل عام ميلادي، تترصد الأقلام الصحافية العربية[1] ظاهرة تخلف الجامعات العربية عن المراكز المتقدمة في التصانيف العالمية...ويتناول الصحافي أو الإعلامي القضية من منظور واحد، وهو: لماذا تخلفت جامعاتنا عن هذه المراكز المتقدمة؟ وسامحوني إن وصفت هذه الطريقة أو المدخل في معالجة القضية بالسطحية والاستسلام للتفكير الخطي النمطي المباشر والنظر للقضية، من منظور واحد، دون أدنى اعتبار للجوانب والأبعاد الأخرى ذات الصلة، هذا فضلاً عن الخطأ الفادح بالتسليم بأن هذه التصانيف مسلمات قادمة من السماء لا تقبل الجدل والنقاش! ولعل في

[1] من بين أبرز المقالات العربية الصادرة في الصحف المحلية ما يلي:
- لبيب السباعي - كلمات جريئة ٢٠٠٩/٨/٣٠ - الأهرام – ٥/١٨/ ٢٠٠٩م. ص١٩

ما نكتبه دعوة للتأمل فى القضية نفسها بخلفيات أكثر وأبعاد أعمق؛ للبحث عن مخرج لهذا المأزق والانطلاق نحو مقترحات وروى، يمكن أن تحقق الرضا بين معظم الأطراف.

لم يعد البديل الإلكتروني بديلاً وإنما خياراً أساسياً، ما دامت الحياة أصبحت إلكترونية سواء على مستوى العلاقات بين الأفراد في الواقع المادي الملموس عبر شبكات الهواتف النقالة بكل مستوياتها وإمكانياتها، أو بين الأفراد من خلال الشبكة العنكبوتية (الويب) بما تقدمه من تيسيرات للتواصل والمشاركة الإلكترونية عبر أجهزة الحاسب الآلي، بكل أحجامها وأنظمة تشغيلها. وتسير التقنية في خطوط متقاطعة؛ حيث التقت الهواتف النقالة مع الحاسبات من خلال الشبكة العنكبوتية، فلم تترك مجالا للتواصل المادي المباشر وجها لوجه. وأمام هذه المرونة الفائقة لإمكانات تقنيات المعلومات والاتصالات، عجزت الأنظمة التقليدية عن إتمام التواصل بين الأفراد نتيجة للنمو المتزايد والكثافة السكانية وقيود التجمعات وضيق المساحات وقلة الموارد ومحدودية تجهيزات البيئة التقليدية، هذا فضلاً عن القيود المكانية والزمنية للتواصل المباشر... وغيرها. وانتشر **النشر الرقمي بديلا للورق والطباعة**، وكان على **مؤسسات التعليم العالي** مواجهة هذا التيار العالمي القادم بقوة عبر أربعة مسارات كالآتي:

١. انتشار برامج وخطط التعلم الإلكتروني E-learning، وتحويل المقررات الدراسية إلى البيئة الشبكية الإلكترونية.

٢. الاهتمام بالنشر الإلكتروني E-Publishing للكتب الدراسية، وإحلال الكتاب الجامعي الرقمي بديلا للمطبوع الورقي، والتوجه نحو الكتب الدراسية المتاحة للجميع Open Access Textbooks.

٣. إنشاء المستودعات الرقمية Digital Content Repositories لكافة أشكال المحتوى الصادر عن المؤسسة، والاهتمام بالنشر الإلكتروني وإتاحة المحتوى على الشبكة العنكبوتية احتراما وتقديرا للقياسات والتصانيف العالمية للجامعات والمستودعات الرقمية من أجل مكانة عالمية أفضل.

٤. التخطيط لمشروعات المكتبات الرقمية Digital Libraries لمجموعات مكتبة الجامعية أو للذاكرة الإلكترونية للجامعة University E-Memory، وأحيانا التخطيط لإنشاء بوابة إلكترونية Electronic Portal.

وتفتقد هذه المسارات الأربعة لجهة مركزية واحدة، تتولى إدارتها وضبطها، وتنسق فيما بينها، ومن هنا جاءت الحاجة لما يسمى **بالتخطيط الاستراتيجي لتكنولوجيا المعلومات والاتصال** في المؤسسة؛ لضمان حسن الإدارة والتنظيم وضبط الجودة والتوافقية والتجانس وسهولة التشغيل وانسيابية المعلومات، فيما بين الأنظمة الآلية أو منصات العمل الكائنة بوحدات المؤسسة ككل متكامل.

وتتابع **فصول الكتاب الثمانية** من أجل تقديم رسالة معرفية متكاملة لكل مهتم بمستقبل الجامعات العربية والتعليم العالي على المستويين العربي والعالمي؛ فقد تم تخصيص الفصل الأول للإطار المنهجي، بينما تناول الفصل الثاني المعالم الرئيسية للطريق إلى جامعة من الطراز العالمي والتصانيف العالمية للجامعات، واستعرض الفصل الثالث ترتيب ومكانة الجامعات العربية على خريطة التصانيف العالمية والمحلية، ثم يأتي الفصل الرابع؛ ليعالج قضية من أهم قضايا إدارة المؤسسات، وهي الإدارة الإلكترونية للجامعات والثقافة المعلوماتية. ويتناول الفصل الخامس مفهومًا وتيارًا عالميًا، يعرف بالوصول الحر للمعرفة، مستعرضاً دور الجامعات في إثراء المحتوى الرقمي على الويب، ويغطي الفصل السادس قضايا التعلم الإلكتروني والملكية الفكرية للمحتوى في الجامعات. ويتناول الفصل السابع بعداً مختلفاً له قيمته ومردوده، ليس فقط على مكانة الجامعة عالميًا، وإنما على درجة ارتباطها بالمجتمع والبيئة المحيطة، وهو موضوع المسؤولية الاجتماعية للجامعات. ثم يأتي الفصل الثامن ليقدم خارطة الطريق: الملامح الرئيسة للإستراتيجية العربية؛ لضمان المكانة العالمية للتعليم العالي والبحث العلمي، مع احترام الخصوصية والثقافة العربية.

لاشك أن منظومة متكاملة لإدارة معلومات الأبحاث الجارية والمجازة لدرجات الماجستير والدكتوراه بالجامعة يعد مطلبًا حيويًا أمام المجتمع العالمي؛ من أجل حجز مرتبة متقدمة، إما في جهود الإحصاء العالمي لنشاط البحث العلمي، أو جهود الترتيب الطبقي للمحتوى المعلوماتي الثري Information rich لقياسات مواقع الجامعات على

شبكة الويب Webometrics، أو لأية محاولات أخرى. وإلى جانب حتمية التعريف بالجهود البحثية للجامعة أمام المجتمع العالمي، فإنه لابد من النظرة الاقتصادية والمردود الاقتصادي من هذا الزخم المعلوماتي، المتميز الذي يعكس إبداعات وابتكارات علمية أصيلة، يجب أن تتخطى كل الحدود والحواجز من خلال نمط اقتصادي Economic Model؛ لتحقيق عائد مادي يتناسب والخبرات والتجارب العالمية في هذا الميدان، ووفق متطلبات الاقتصاد القائم على المعرفة Knowledge-based Economy، بما يصون ويحترم الملكية الفكرية Intellectual Property لكافة الأطراف. وينتهي الكتاب بملحق خاص، يتضمن مخطط إنشاء منظومة متكاملة لإدارة معلومات الرسائل الجامعية وإعداد مؤشرات البحث العلمي واتجاهاته بجامعة القاهرة، ودعم تطبيقاته لخدمة المجتمع المصري والعربي والعالمي، وملحق آخر يتضمن إستراتيجية مقترحة لصناعة المحتوى الرقمي لجامعة القاهرة.